

أهمية الكتاب المدرسي ودوره في تنمية قدرات تلاميذ المرحلة الابتدائية
شبوني عبد القادر (جامعة المدية)

المخلص:

يعدّ الكتاب المدرسي وسيلة من الوسائل التربوية التي تساعد التلاميذ على تلقي المعلومات، واكتساب الكفاءات والقدرات، ومحاولة توظيفها في جميع المراحل التعليمية وبخاصة في مرحلة التعليم الابتدائي والتي تعتبر باكورة المراحل التعليمية، لما لها من أهمية في الارتقاء بالمستوى التعليمي لدى تلاميذ هذه المرحلة. ونظرا لهذه الأهمية ارتأينا أن يكون مقالنا موسوما بـ : أهمية الكتاب المدرسي ودوره في تنمية قدرات تلاميذ المرحلة الابتدائية . وكان منطلق بحثنا إشكالية كبرى مفادها : ماهو الدور الذي يقدمه الكتاب في تنمية القدرات الفكرية والمعرفية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية ؟

الكلمات المفتاحية: الكتاب المدرسي - الكفاءات - التعليم الابتدائي - التعلم

Abstract

The school book is considered an educational tool which helps the learners aquire information ,skills and competencies, and trying to apply them in each stage of their education especially in primary school which is the first stage of their education.for this we want our contribution to be called: The importance of the school book and it is the role in

the development of the primary school learners competencies.

Our starting point was the problematic: what is the role of the school book in the enhancing of the primary school learner's mental competencies and knowledge?

Key words: School book–Competencies–Primary school–Learning.

تمهيد:

مما لا شك فيه أن مرحلة التعليم الإبتدائي تعتبر منطلق اكتساب المعارف وتطوير القدرات الذهنية والمعرفية واكتساب الخبرات تماشيا بما يقدمه المعلم وما يكتسبه المتعلم ولا يكون ذلك إلا بالاستغلال الجيد للكتاب المدرسي وهذا وقوفا عند:

- مفهوم الكتاب المدرسي.
- أهمية الكتاب المدرسي في الارتقاء بقدرات التلاميذ الذهنية والسلوكية.
- التواءم والتناسب بين مضامين الكتب المدرسية وقدرات التلاميذ الذهنية.
- تفعيل دور الكتاب انطلاقا من الحياة الأسرية.

مفهوم الكتاب المدرسي:

يعرف الكتاب المدرسي على أنه : " الوسيلة الأساسية في يد التلميذ والموثوق بها لأن كلماته مطبوعة أو مسجلة، ولأن سلطة عليا هي التي دفعت به إلى الأيدي والأعين" ¹ وعليه فإن الكتاب المدرسي يعد وسيلة هامة في يد التلميذ للاستعانة بها في محاولة التأسيس لمرحلة من المراحل التعليمية وهذا من

الملتقى الوطني : واقع تعليم اللغة العربية في الطور الول من التعليم الابتدائي

خلال التحسن اليومي لهذا الكتاب الذي يعد معول بناء التلميذ في المرحلة الابتدائية والمرتبطة بالبرنامج الدراسي المقرر لأجل تحقيق الأهداف التربوية التي تسمح ببناء شخصية التلميذ المعرفية والوجدانية والسيكولوجية في إطار واضح، منظم ومحكم .

إن الكتاب المدرسي يعد أداة من الأدوات التي يسعى من خلالها أي منهج تحقيق بعض الأهداف التي تحقق الهدف المنشود الذي يسعى إليه التلاميذ على اختلاف مستوياتهم لتحقيق بعض الأهداف التعليمية التعليمية لدى التلاميذ مما يتيح لهم فرص اكتساب القدرات والمهارات والكفاءات لتحقيق بعض الأهداف التربوية المعرفية.

يهدف الكتاب المدرسي على تنوع محتوياته إلى خدمة المقرر الدراسي في مختلف مراحل التعليم وكذا التلاميذ على اختلاف مستوياتهم إذ أن للكتاب دورا فعالا في تزويد التلاميذ بالمعارف المتنوعة وتنمية قدراتهم وتهذيب أدواقهم وهو على هذا الأساس أداة معرفية جيدة بما يحتويه من خبرة الخبراء المتخصصين الذين أعدّوه من حصيلة معارفهم ، وخلاصة تجاربهم ، وعصارة أفكارهم وخبراتهم ترتيب واضح ومتدرج يختصر الطريق إلى المعرفة على المتعلم بما يوفر له من الجهد والوقت من أجل تعليم فعال² .

ثنائية العملية التعليمية التعليمية في تنمية القدرات المعرفية للتلميذ:

لم يعد التعليم مجرد عملية تلقين أحادية القطب تقوم على كفاءة المعلم ذاته في صنع المعارف بطرائق مختلفة تسعى لتنمية القدرات الذهنية والمعرفية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية، بل صار هندسة متماسكة الأطراف تعنى ببناء المعارف بناءً متماسكا مما يتماشى وقدرات التلميذ الذي يسعى دوماً لإنماء

الملتقى الوطني : واقع تعليم اللغة العربية في الطور الول من التعليم الابتدائي

معارفه إذ أصبحت العملية التعليمية تقتضي إشراك جميع العناصر لتنمية الفعل التربوي البيداغوجي الذي يخدم التلميذ من خلال العملية التعليمية التي ترافقه وتبني كيانه باعتبار العملية التعليمية التعليمية مبنية على عنصرين فاعلين في تحقيق الفعل التربوي إذ تعد العملية التعليمية التعليمية أساس تحقيق الكفاءة لدى تلاميذ مرحلة التعليم الابتدائية من خلال إدماج المعارف الخام المسبقة المخزنة في ذهن التلميذ ومحاولة تحويلها إلى معارف سلوكية وأدائية تحقق كيان وجودها في ميدان الحقل المعرفي التربوي و"كان ذلك بطريقة المقاربة بالكفاءات باعتبارها منهجية جديدة وأداة مجدية لرفع هذا التحدي، كما أن هذه البيداغوجيا أعادت ترتيب الأوراق بين المعلم والمتعلم"³ إذ نجد أن الكتاب المدرسي من خلال هاتين الثنائيتين خاص ومقيد بمنهج الوزارة ويرتبط بفئة معينة من التلاميذ، على هذا الأساس يعتبر الكتاب المدرسي وسيلة مهمة في العملية التعليمية إذ يمكن التلميذ من استعمال اللغة استعمالا صحيحا من خلال إكسابه جملة من المهارات والقدرات.

تفعيل دور الكتاب انطلاقا من المجتمع:

يعتبر المجتمع القناة الرسمية التي من خلالها يستطيع التلميذ اكتساب بعض القدرات التي تسمح له بإنماء الرصيد اللغوي والمعرفي من خلال الاحتكاك اليومي بالوسط الاجتماعي ومن خلال الاتصال بأفراد المجتمع" فكلما زادت وتنوعت علاقاته الاجتماعية كانت مساحة اللغة التي يكتسبها أوسع واكبر"⁴ فاتصال التلميذ بالمجتمع يساهم بقدر فعال في اكتساب ملكة جديدة من الألفاظ تكون سببا في تنميته القدرات الذهنية واللغوية والسلوكية " لذلك فإن عملية الانفتاح على المجتمع وإنشاء وتوثيق العلاقات مع أفرادها بمختلف طبقاتهم

الملتقى الوطني : واقع تعليم اللغة العربية في الطور الول من التعليم الابتدائي
،فئاتهم ،مستوياتهم ،أعمارهم وأجناسهم تكون لها الأثر الكبير في تنمية
المهارات اللغوية وصيغها وتراكيبها وأساليبها المتنوعة⁵

يحاول الكتاب المدرسي دوما على مختلف المراحل التعليمية وبخاصة
في المرحلة الابتدائية التأسيس كيان التلميذ من خلال مصطلح القراءة التي تعتبر
أهم وسيلة للتعلم وتطوير كيان المتعلم نحو اكتساب معارف أكبر وثقافة أوسع
من خلال انماء الرصيد اللغوي والمعرفي" وهكذا يبقى ثراء الحصيلة اللغوية
مرهونا بالتوسع في القراءة لنتاج المكتوب ولكثرة الاطلاع على التراث اللغوي
المدون في اطاره الزماني والمكاني" ⁶ فكلما كان انجذاب التلميذ نحو القراءة
توسعت ملكة التلميذ وزاد نشاطه الذهني وتفتحت قريحته نحو اكتساب رصيد
لغوي أفضل يمكنه من تعبئة المحصول المعرفي والثقافي ومحاولة توظيفه في
الحقل المعرفي وهكذا يتحقق فعل الابداع.

إن المجتمع يعتبر وسطا أساسيا في مساعدة التلميذ على اكتساب جملة من
المعارف مرتبطة بسلوكات متنوعة تثري الرصيد اللغوي لدى التلميذ فعليه
يكون المجتمع مكان الدرس للتعلم وميدان للقراءة التي تعد من المهارات اللغوية
المكتسبة ، فالقراءة عملية عقلية تشمل تفسير الرموز التي يتلقاها القارئ عن
طريق عينه وتتطلب هذه الرموز فهم المعاني⁷

تعد الأسرة مصدرا هاما بالنسبة لبداية تلقي المعارف واكتساب المهارات
إذ تعتبر باكورة الفعل التعليمي لدى الطفل حيث يتفق رجال التربية على أن
للأسرة دورا فعّالا في اكساب الأطفال ما يتطلبه السلوك اليومي لديهم المرتبط
ببعض الخصائص النفسية والاجتماعية التي من خلالها تتبني شخصية الطفل،

الملتقى الوطني : واقع تعليم اللغة العربية في الطور الول من التعليم الابتدائي

فالأسرة مؤسسة اجتماعية نفسية تربوية إذ " تبقى أول وأهم مؤسسة في حياة الطفل الاجتماعية وتأثيرها في السنوات الأولى له آثاره الباقية مدى الحياة⁸

إن الأسرة لم تعد كما كانت عليه سلفا مكبلة ببعض القيود التي أفرزها واقع اجتماعي معين مرتبط ومتزامن مع فترة تاريخية معينة بل تحولت من مصدر منتج لأهم الثقافات إلى مصدر مستهلك للتقدم التكنولوجي الهائل الذي أصبح مهيمنا على الحياة الأسرية مما أثر سلبا على مسار التلميذ في شغفه بهذه التكنولوجيا التي أصبحت حائلا عن التحصيل العلمي حينما أسأنا استغلالها .

إن الأسرة تعتبر جزءا هاما في تنشئة الأجيال إذ هي اللبنة الأساس في بناء المجتمعات وتكوين الفرد تكوينا سليما.وبما أن الأسرة تعتبر الأرض الخصبة بالنسبة لتعلم اللغة بالنسبة للطفل فإنها كذلك تعتبر عنصر بناء شخصية التلميذ من خلال تزويده بجملة من الألفاظ التي يكتسبها لأول مرة ويظفيها لملكته والتي تتطور يوما بعد يوم ، "فالأسرة التي توفر مثل هذا المناخ لأطفالها أسرة واعية بمسؤولياتها تدرك أن دورها لا يقتصر على توفير المسكن والملبس والمأكل وسائر المتطلبات المادية"⁹ ولهذا نجد أن علاقة الأسرة مع التلميذ علاقة متينة من خلال خلق المتعة والرغبة في اكتساب المعرفة فهي كتاب مفتوح على مصراعيه يقرؤه التلميذ في أي وقت ويصبح التلميذ مستعدا للعباء أفضل عندما يجد أن أسرته تسانده لتلقي العلوم ولأن هذا الاستعداد الذي توفره الأسرة يبقى مرهونا بما يتحقق من نتائج تعود بالإيجاب على تلقي التلميذ لمختلف المعارف فتكسبه قدرا كبيرا من الكفاءات والقدرات التي تشحنه بطاقات هائلة في إنماء معارفه وهكذا يكون التكامل بين البيت والمدرسة ممثلة في التلميذ الذي يتصل اتصالا مباشرا بالمدرسة فتزداد قنوات الاتصال بين التلميذ والأسرة والمدرسة

الملتقى الوطني : واقع تعليم اللغة العربية في الطور الول من التعليم الابتدائي

وهكذا يتحقق نوع من التفاعل الإيجابي بينهم وتتوطد العلاقات بين الأسرة والمدرسة والتلميذ وحينئذ تتحقق الأهداف التربوية ويحدث نوع من التجاذب الإيجابي يعود مردوده على التلميذ فتتحقق الأهداف وتتعاظم القدرات وتصبح الأسرة جزءا لا يتجزأ من العملية التعليمية الفاعلة في الوسط المدرسي .

أهمية الكتاب المدرسي في المرحلة الابتدائية:

إن الكتاب المدرسي يعدّ مصدرا من مصادر اكتساب المعارف باختلاف أنواعها وتنوع مشاربها وهذا حسب ما يتطلبه المنهاج المدرسي الذي تعدّه وزارة التربية الوطنية إذ لا يمكن أن نصل إلى مرحلة ما من النجاح إن لم نعتمد على هذه الوسيلة الهامة في تلقي مختلف المعارف نظرا لما يقوم به الكتاب المدرسي من تزويد التلاميذ بمختلف أنواع المعارف التربوية وتحريك تلك المكتسبات القبلية الخامّة المتراكمة في أذهان التلاميذ ومحاولة تحويلها إلى مادة سائلة تعود بالفائدة على التلاميذ .

إن الكتاب المدرسي أداة فاعلة في تنمية القدرات الذهنية والتفكير الإيجابي بما يسمح من صقل المواهب لدى التلاميذ . فللكتاب المدرسي أهمية كبرى في حياة التلميذ المعرفية فهو الذي:

- ينمّي القدرات ويكسب التلميذ المهارات والمعلومات والخبرات .
- يكشف بعض الحقائق ويزيل الغموض والابهام لدى بعض التلاميذ في محاولة اكتشاف كل ما هو جديد في الأسرة والمدرسة والمجتمع .
- يغيّر بعض السلوكات لدى التلاميذ ويجعلهم يتهافون نحو سلوكات جديدة يحكمها واقع اجتماعي .
- ينمّي شخصية التلاميذ ويرتقي بها إلى مستوى أعلى وأرقى .

الملتقى الوطني : واقع تعليم اللغة العربية في الطور الول من التعليم الابتدائي

- يكسب التلاميذ القدرة على التفاعل والتمييز بين ماهو سلبي وما هو إيجابي.
- يساعده على الإجابة على جملة من التساؤلات وحل بعض المشكلات التي تعترض سبيله مستقبلا.
- يجعله قادرا على قراءة الواقع قراءة جيدة .
- يوجه التلميذ إلى كيفية الاستفادة منه من خلال النفاذ إلى أعماقه من خلال تفسير المعاني وإزالة الغموض .
- يذلل الصعوبات ويهيئ الجو للمعلم لتحضير الدروس وفق البرامج المقررة.
- يحقق الأهداف بتنوعها وبخاصة للعملية التعليمية حسب المراحل التعليمية.

- التواؤم والتناسب بين مضامين الكتب المدرسية وقدرات التلاميذ.

إن مضمون الكتب المدرسية يجب أن يتماشى وقدرات التلاميذ الذهنية والمعرفية ومضمون الكتاب المدرسي يوضح ويشرح ويشرح ما يتضمنه المقرر من خلال لغة الكتاب التي تكون أداة لاكتساب الخبرات التي تضمنها الكتاب المدرسي، فتبسط الأفكار وتذلل الصعوبات وتحقق الأهداف وعليه يجب أن يكون مضمون الكتاب المدرسي يتصف بنوع من البساطة وترتيب الأفكار وعمق الدلالات ووضوح المعاني من خلال بناء معرفي محكم مبني على الانسجام والتواؤم بين المضامين وقدرات التلميذ التي تتزايد فيها المعارف والمعلومات والتأسيس لأفق واسع في ذهنية التلاميذ وأن يعكس الكتاب المدرسي ما تصبو إليه العلوم التربوية كانت اجتماعية أم نفسية مما يتماشى وعمليتي التعليم والتعلم وأن تتصف مادة الكتاب بالعمق والشمول والوضوح وأن تكون المصطلحات

الملتقى الوطني : واقع تعليم اللغة العربية في الطور الول من التعليم الابتدائي

والمفاهيم المستعملة تتلائم ومستوى التلاميذ من جميع النواحي العقلية والاجتماعية والثقافية وأن تكون موزعة توزيعاً عادلاً بين أفراد الكتاب الواحد، إضافة إلى هذا أن تكون الخبرات والمهارات السابقة حاضرة في مضامين الكتب اللاحقة كما يجب أن تكون مضامين الكتب عنوانها التماسك والانسجام .

وظائف الكتاب المدرسي:

إن للكتاب المدرسي عدة وظائف تتسم بالتباين والمغايرة وهذا ما تتطلبه كل مادة علمية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بثنائية المعلم والمتعلم من خلال الأداة التي ينبغي عليها وظيفة الكتاب والتي يحددها المستعمل استعمالاً وظيفياً.

الكتاب المدرسي أساس العملية التعليمية به تتقل المعارف وتتطور الأفكار وتحقق الممارسة التربوية إذ أنه الدليل الذي " يسمح للمعلم بتسيير أعم لدروسه، فلا يوجد فرق واضح بين كتاب التلميذ ودليل المعلم ومن الواجب على مؤلف هذا الكتاب أن يأخذ بعين الاعتبار وظائف الكتاب المدرسي بالنسبة للمعلم والمتعلم¹⁰ ومن أهم وظائف الكتاب المدرسي:

- تنمية المهارات والقدرات بإكساب المتعلم جملة من المعارف والطرق والسلوكات والخبرات.
- تفعيل مكتسبات التلميذ القبيلة وتقويمها وهذا بتذليل الصعوبات وتصويب الأخطاء.
- إدماج المكتسبات بما يتمشى وقدرة المتعلم من خلال استثمار المعلومات وتوجيهها توجيهاً سليماً.
- ربط المعارف والمهارات بعضها ببعض وإكساب المتعلم القدرة على استنتاج الأفكار.

الملتقى الوطني : واقع تعليم اللغة العربية في الطور الول من التعليم الابتدائي

- وظيفة تكوينية بمعية المعلم الذي يعتبر الركن الأساس في سيرورة العملية التعليمية التعلمية.
- إمداد التلاميذ بالمعلومات والمعارف المختلفة المقررة عليهم.
- توجيه التلاميذ والمعلمين إلى الإطلاع على بعض المراجع والمصادر التي تثري ملكتهم المعرفية والوقوف عند بعض حقائق المعلومات المقررة.
- وظيفة الممارسة في تحريك الأفكار من خلال الوقوف عند مستويات التفكير مع مراعاة المرحلة العمرية للتلميذ إذ نجد أن " الكتاب المدرسي يمكن أن يكون أداة للتأكد من صحة الحقائق والمعلومات التي تم التوصل إليها إذ بدون كتاب مدرسي يمكن أن يكتسب التلميذ معلومات وحقائق مشتتة وغير مترابطة لا تساعد على تنمية تفكيرهم"¹¹

الكتاب المدرسي في الجزائر:

يعد الكتاب المدرسي وثيقة أساسية وثيقة أساسية يستعملها المتعلمون في تنمية القدرات المعرفية ، فهو الذي يجسد البرنامج الرئيس لوزارة التربية الوطنية يشترك فيه التلاميذ باختلاف أعمارهم ومستوياتهم في تلقي المعارف بصفة منتظمة "فالكتاب المدرسي من النوع المغلق والمقصود به الكتاب الذي يركز على المحتوى وتقديمه بطريقة منظمة لا تكون يد للمتعلّم في بناءه واكتشافه والكتاب المفتوح يقوم على اكتشاف المعارف وبناءها من خلال أنشطة تبرز فيها قدرات المتعلّم"¹²

الكتاب المدرسي الجزائري مرّ بمراحل متعددة كانت باكورة هذه المراحل:

الملتقى الوطني : واقع تعليم اللغة العربية في الطور الول من التعليم الابتدائي

- مرحلة الاستقلال: هذه المرحلة عنوانها التواصل مع الموروث الاستعماري الذي كانت تجسده المدرسة الفرنسية في زمن الاحتلال من خلال محاولة ترسيخ الفكر الاستعماري الذي يمجّد الاستعمار وطمس الشخصية الوطنية الجزائرية وارساء أسس المدرسة الفرنسية في أذهان الجزائريين.

- مرحلة جزأرة الكتاب الجزائري: وهي مرحلة التأسيس للمدرسة الجزائرية المبنية على إرساء معالم الثوابت الوطنية والتأسيس لمرحلة ما بعد الاستعمار من خلال مجانية التعليم وتوفير الكتاب المدرسي للجميع الذي يتماشى مع الإصلاحات التي تبنتها المنظومة التربوية إذ تعتبر مرحلة انطلاق المدرسة الجزائرية الحقّة لتأسيس نظام تربوي يسائر التوجهات الجديدة وما يمكن قوله على مرحلة جزأرة الكتاب أنها كانت تتماشى و مراحل الإصلاح في الجزائر منذ الاستقلال إلى اليوم.

خاتمة:

يمكن أن نخلص في الأخير من خلال وقوفنا عند أهم ما تقتضيه هذه الدراسة أن الكتاب المدرسي الجزائري كان يسائر دائما الإصلاحات التربوية في الجزائر بما تقتضيه آليات العملية التعليمية التعلمية مما يتماشى والمنظومة التربوية في الجزائر حتى يكون للكتاب المدرسي الدور الفعال في تنمية المهارات والكفاءات والقدرات لدى التلاميذ عامة و تلميذ المرحلة الابتدائية خاصة إذ يمثل الكتاب المدرسي الحقل الخصب لقيام المدونات العلمية التعليمية.

الملتقى الوطني : واقع تعليم اللغة العربية في الطور الول من التعليم الابتدائي
الهوامش:

- 1/ رضوان أبو الفتوح، الكتاب المدرسي، فلسفته، تاريخه، أسسه، تقويمه، د ط ، مكتبة الأنجلو المصرية 1962، ص 4 ، 5.
- 2/ دمه ابراهيم، الكتاب المدرسي ومدى ملائمته لعمليتي التعليم والتعلم ، إدارة البحوث التربوية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1982 ص 113.
- 3/ دراسة حول دور المعلم في بيداغوجيا الإدماج 2008/08/03.
- 4/ أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية ، أهميتها مصادرها ووسائل تنميتها، سلسلة عالم المعرفة، 1998، ص 72.
- 5/ المرجع نفسه ص 73.
- 6/ أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية ، المرجع السابق ص 104.
- 7/ محمد موسى الشريف، الطرق الجامعية للقراءة النافعة، ط6، المملكة العربية السعودية-جدة دار الأندلس ص23.
- 8/ هدى محمود الناشف، الأسرة وتربية الطفل ، دار المسيرة للنشر والتوزيع عمان ط2 2011 ص 18
- 9/ المرجع نفسه، ص24.
- 10/ علي القاسمي عطاء، اتجاهات حديثة في تعليم اللغة العربية ص94.
- 11/ عدلي سليمان ، الوظيفة الاجتماعية للمدرسة، دار الفكر العربي القاهرة ص 70 ، 71
- 12/ محمد الصالح حثروبي، نموذج التدريس الهادف ، أسسه وتطبيقه دار الهدى الجزائر 1999 ص 126.